

البرهان في علوم القرآن

ومنه قوله تعالى قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير
الله يأتكم بضياء أفلا تسمعون لما كان سبحانه هو الجاعل للأشياء على الحقيقة وأضاف إلى
نفسه جعل الليل سرمدا إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير وظرف الليل
ظرف مظلم لا ينفذ فيه البصر لا سيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذى تنفذ فيه الأبصار إلى
غيره وغيره ليس بفاعل على الحقيقة فصار النهار كأنه معدوم إذ نسب وجوده إلى غير موجد
والليل كأنه لا موجود سواه إذ جعل سرمدا منسوبا إليه سبحانه فاقترضت البلاغة أن يقول أفلا
تسمعون لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذى يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار .
وكذلك قال فى الآية التى تليها قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة
من إله غير الله يأتكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون لأنه لما أضاف جعل النهار سرمدا إليه
صار النهار كأنه سرمد وهو ظرف مضء تنور فيه الأبصار وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره
وغيره ليس بفاعل على الحقيقة فصار الليل كأنه معدوم إذ نسب وجوده إلى غير موجد والنهار
كأنه لا موجود سواه إذ جعل وجوده سرمدا منسوبا إليه فاقترضت البلاغة أن يقول أفلا تبصرون
إذ الظرف مضء صالح للإبصار وهذا من دقيق المناسبة المعنوية .
ومنه قوله تعالى فى أول سورة الجاثية إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم
وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق
فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون .
فإن البلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الأولى للمؤمنين لأنه